2021

نِعمُ اللهِ الخفيةُ

أبوالحسن الحناوى

مقدمة

أيها الأخوة الكرام .. والأخوات الكريمات

احييكم بتحية طيبة مباركة .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

لقد ساقني القدر لأعايش أحد المواقف الصعبة مع أحد المبتلين والتي أجدُني مُضطراً للحديث عنها من وجهة نظر شرعية أو ايمانية مشيراً الى بعض نعم الله الخفية والتي لا تجلو قيمتها الهامة والعظيمة الا عند سلبها وفقدها.

ونظراً لإعتيادنا على تجدد نعم الله يومياً .. فأكثر الناس ما يَضجُّ ويَسخطُ إذا ما ابتلاه الله بحرمانه إحدى هذه النعم الكثيرة والمتجددة والتي لا تُعدّ ولا تحصى ، وكأنها لا يجب أن تنقطع عنه وهذا ما يُسمى بإلف النّعمة وإعتياد الإنسان على وجودها بصفة مستمرة.

وكثيرٌ من النّاس أيضاً بسبب إلفه وتعوّده على تجدد النعمة يفقد قيمتها ، فلا يتوجه الى الله بدوام شكرها وحمده على تيسيرها وتجديدها له ، وذلك ما يُعرفُ بكفران النعمة.

وقد أخبرنا المولى عزوجل أن شكرَه على نعمه يكون سبباً وسبيلاً لزيادة النعم والبركة فيها ، وكذلك سببا في دوامها .. لقوله: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾.

وأما عدم شكر الإنسان لنعم الله والتنكر لفضل المُنعم واتخاذ نهج الجحود سبيلاً له ، فقدعرض نفسه بنفسه للهلاك ، ومحق البركة وما لا يسرُه من أمورٍ عصيبة وشديدة ومُرهقةٍ ومُؤلمةٍ .. وملازمة لعذاب الله كما ورد في تكملة الآية الكريمة: ﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ والكفر هنا هو كفران النعمة وستر فضل الله وكرمه بعدم شكره.

لذا وجب على كلٍّ منا التفكر في أنعم الله السابغة والتوجه اليه بالحمد والشكر المتلازمين في كلِّ حالٍ مادام على قيد الحياه ، ينعمُ بنعم الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

نعم الله

نِعَمُ اللهِ على عباده كثيرةٌ لا تُحصى ، وكثرةٌ كاثرةٌ لا تُستقصى ، ومُتتابِعَةٌ لا تنقضي ، يقول الله ﷻ: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.

حصولُ المنافعِ ودفعُ المضارِّ ، بل كلُّ خيرٍ يحوزه العبدُ هو إنعامٌ من الله عليه .. مِنْ عِلْمٍ وإيمانٍ ، وفهم وعقل ، وعملٍ وأسرة وذريةٍ ، ومسكنٍ وملبس وسعادةٍ ، وصحة وقوة ، ونوم ويقظة ، وكلُّ شيئٍ هو إنعامٌ من الله لقوله عزوجل: ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾.

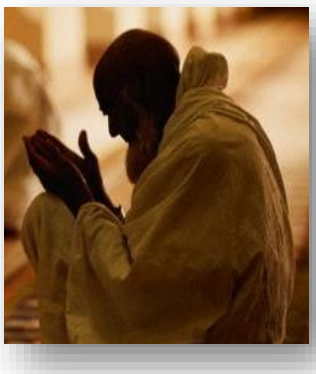

إلفُ النعمةِ

والآن نُعرِّجُ على مَسألةٍ دقيقةٍ وخطيرة .. وهامة في نفس الوقت ..

ألا وهي إلفُ النعمةِ ، واعتيادُ تجدُدِها .. قال تعالى: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾.

قالت أم سلمة الأنصارية سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ويحكم يا معشر قريش اعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف».

والشاهد هنا أن قريشاً ألفت نعم الله فانصرفوا عن شكر هذه النّعم الجليلة والعظيمة التي حباهم الله المنعم المتفضل ايّاها من مأكلٍ ومشربٍ وأمنٍ وأمانٍ سواء في ربوعهم أو في أسفارهم الموسمية الشتوية والصيفية الى الشام واليمن فأنزل الله قرآنا يُتلى الى يوم القيامة مُوجِهاً الخطاب لقريش ولكلِّ من يقع في هذا السلوك من حجود أوتغافل عن شكر نعم الله.

جحود النعمة وعدم شكرها

والآن هل تعلم كم من النعم التي أنعم الله بها علينا وقد ألفناها ولم ننتبه الى فضل الله وكرمه واحسانه وأن هذه النعم بيده يتفضل بها علينا ليلاً ونهاراً، ولكن للأسف بسبب جهلنا أوغفلتنا أوألفتنا لها وتعوّدنا على بقائها ودوامها، قلَّ شكرُنا لله ونَدُرَتفكرّنا في رحمتِه بنا وتفضلِه علينا بها، وظنَّ الكثيرُ من الناس أنها أنعُماً واجبةُ الدوام والبقاء وأنه لا سبيل لها من الزوال فأصبح

الكثير من الناس متنكراً لنعم الله ولفضله عزوجل قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ أى حجود غير شاكرٍ لأنعمه وهو المتفضلُ المنعمُ سبحانه.

النعمُ الخفيةُ أوالمُستترةُ

ومن النعم الخفية غير التقليدية المعروفة ، نعمة "مكانيكية العضلات" أونظام عمل القوة بالعضلات التي تمكننا من رفع وحمل ووضع ودفع الأشياء أو إزاحتها ، وإذا تكلمنا عن الجهاز العضلى بشكل عام نجد أنه إذا أصابه خللٌ أوضعف تصبح حياة الإنسان مرهقة للغاية بسبب المعاناة والصعوبة التى يلاقيها المريض وذويه.

مثال لنعمة مستترة

ولك أن تعلم أيها القارئ الكريم ما يمكن حدوثه من خلال واقعة عايشتها مع أحد المُبتلين بخللٍ وضعفٍ في نظام جسمه العضلى:

- ابتداءً يصبح الإنسان غيرُ قادرٍ على القيامِ بالأمور المعتادة التي كان يقوم بها فهو لا يقوى على ارتداء ملابسه وخلعها بنفسه ولا رفع كوب ماء ممتلئ ولا يقوى على الخروج لقضاء جاحيّاته الضرورية هذا فضلا عن الخروج للتنزه او التريض.
- ويُسبب خلل عضلاتِ اللسان في صعوبة النطق وعدم وضوح ما يقول من الكلام .. بالإضافة الى الإنهاك والمعاناة عند محاولة التحدث.
- ويُؤدّى خلل عضلات الحلق والصدر الى صُعوبةِ التنفّس والشّعورِ بضيق الصّدر مما يُلجئه الى استعمال جهاز الأوكسجين بالمشفى أوبمنزله.

- أما عن بلع الطّعام فهو أمرٌ صعب على المريض مما دفع الأطباء الى اجراء عملية جراحية بالبطن لتثبيت انبوبٍ بأمعائه حتي يحصل على السائل المغذى للجسم من الخارج الى الأمعاء مباشرة.

- وبما أن الإنسان يحتاج من وقت لآخر للتخلص من البلغم عن طريق البصق أو الكُحّة لدفع البلغم الى الحلق .. فتلك العملية هي من أصعب ما يواجهه المريض لأن عضلات صدره وحلقه ضعيفة فلا يستطيعها بالمرة.

- زد على ذلك عدم ارتياحِه بالليل ، فلا يهنأ بنوم جيد أو متواصل أبداً.

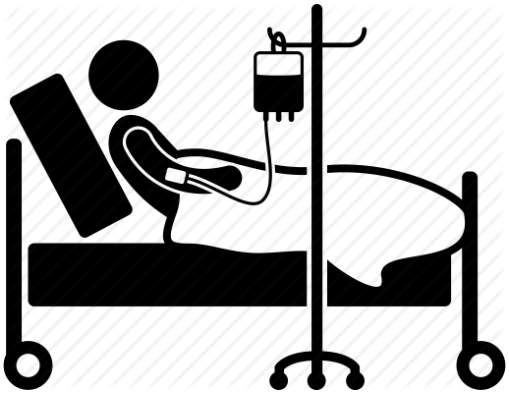

والغريب أن الأطباء لم يجدوا بالفحوصات الطبية ما يُشير الى وجود فيروسات أو التهابات أو قصور في عملِ أى عضوٍ بالجسم ، وتُعرف هذه الحالة عند ألأطباء بأنها مُستعصيةٌ وميؤسٌ من شفائها وعلى المريض انتظار نهاية حياته بهذه الحالة المليئة بالمعاناة والآلام والتوتر والترقب والمتاعب له ولكل أفراد اسرته ومعارفه الى حين أن يأذن الله بمفارقته الحياة.

النّعم المُستترة هي كثيرة ومتجددة

تصور أخي الكريم أنَّ نعمةً خفيةً مثلُ نعمة الجهاز العضلى حينما يُصيبها خللٌ تحدث كل هذه المشاكل والمعاناة والارتباكات للمريض ومَنْ حوله.

- النعم الخفية كثيرة جداً جداً ، مثل نعمة الذاكرة التي إذا فقدها أحدٌ يصبح في عالمٍ آخر ، كل ما ومن حوله غريبٌ يعود مثل الطفل لا يتذكر بعض الناس حتي كيف يمشي وماهية الأطعمة التي تُقدم اليه .. تخيل ذلك!!

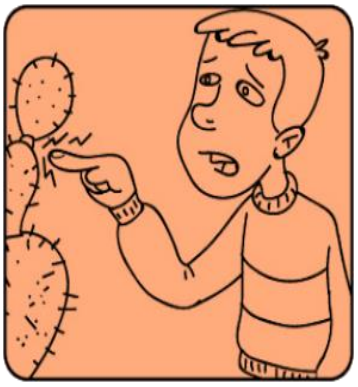

- كذلك نعمة اللمس .. من النعم الخفية التي ألفناها ، فإذا ما فُقد تحسّس الأشياء في جزء من الجسم كانت مُصيبة ونتائجها خطيرة ، كمن يمشى على ارضيةٍ ساخنةٍ ولا يشعرُ بالحرارةِ فتُصاب قدماه بضررٍ بالغٍ وهو لا يشعر أو تُجرحُ قدمه بسببِ شظيةِ زجاجٍ ، وتنزفُ ولا ينتبه لما أصابه.

- كذلك من النّعم الخفية والتي لا نشعر بقيمتها حاستي الشم والتذوق ، فإذا أصيبت شُعيرات الأغشية المخاطية بالجيوب الأنفية بالخلل استحالة أن يستطيع الانسان الشم مهما كانت قوة الرائحة ومهما كانت نفّاذة وغالبا ما يفقد معها المصاب تذوق الطعام مهما كان مالحاً او سُكرياً أو مُرّاً.

- ومن النعم الخفية التي ربما تغيب عن الناس هو سائل الإتزان بالأذن الوسطى فإذا تغيرت مواصفاته أو كميته لسببٍ ما انعدم توازن الإنسان أصبح معرضاً للسقوط أرضاً أوالإرتطام بما يحيط به.

أمثلة إجمالية للنعم الخفية

ولا يقتصرُ الأمرُ بالطبع على النّعم الحِسّية فقط .. بل تشمل النّعم كل يسوقُه اللهُ للعبد من :

- جميلِ صفاتٍ وحسنِ طباعٍ ودماثةِ خُلُقٍ
- وطيبِ نفسٍ وذكاءٍ متميّزٍ وحسنِ تصرّف
- وسلامة عقيدة وتعلم القرآن والعلوم الشرعية وغيرها
- والمسارعة في القيام بالأعمال الصالحة بجميع أوجهها
- والقيام بحقوق الله وحقوق النفس والوالدين وحقوق الآخرين
- والتفكّر في أنعُمِ الله وإرجاع الفضل والأمر الى الله عزوجل
- والشجاعة الأدبية في إظهار الحق وإنكار الباطل
- البُعد عن المعاصى والكبائر وبُغضُها والتذكيرُ بأضرارها

الخلاصة

أيها الأخوة علينا التفكر في أنعم الله المألوفة وغير المألوفة فإن ذلك أجدرُ بنا أن نشكرَ اللهَ ولا نكنْ مِنَ الجاحدين لنعمه الكافرين بها المتنكرين لفضله العظيم ، وعلي المرء أن يأخذ بالأسباب في كل أموره ولكن لا يعقدُ الأملَ على أحدٍ من الخلقِ ، كطبيبٍ أو راقي أو واسطة ، فهم بشر بل ينبغي التوجه الى الله الخالق والشّافي وكاشف الكرُبات سابغ النّعم ودافع النّقم وأن نلهج بكل جوارحنا وليس بألستنا فقط بالحمد لله على نعمه التي أسبغها علينا جليةً أو خفية ، مألوفةً أو غيرِ مألوفةٍ ، فاللهُ عزوجل لم يَخلقْ شيئاً عبثاً وحاشاه قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾.

وقد مدح الله ﷻ نبيَه ابراهيم عليه السلام فقال: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾ .

لذا توجّب علينا شكرَ اللهِ على كل حال من صحةٍ وسقمٍ وسلامةٍ وابتلاءٍ وغنىً وفقرٍ وعسرٍ ويُسرٍ عسي اللهُ أن يُذهبَ عنَّا البأس ، ويكشف عنّا الضّر ويدفع البلاء ويرفع الغلاء ويرحمنا برحمته الواسعة اللهم آمين.

أخوكم في الله / أبوالحسن الحناوى

فيينا فى 23 من اكتوبر 2021